الموقف اللبناني من مشروع الاستيطان الصهيوني حتى العام ١٩٤٨ (النخب الفكرية والشعبية انموذجاً)

م. د. عبد السلام متعب عيدان الربيعي
الجامعة المستنصرية– كلية التربية– قسم التاريخ

الملخص:

لم يكن غريبا على لبنان ان يكون له موقفا كـ (نخب فكرية او شعبية) من مشروع الاستيطان الصهيوني منذ انتهاء الحرب العالمية الاولى وحتى قيام دولة اسرائيل عام ١٩٤٨، فلبنان يرتبط مع فلسطين المحتلة بالعديد من الروابط اهمها الأرض واللغة والديانات والعادات، ولهذا اتسع النقاش بين المفكرين اللبنانيين حول القضية الفلسطينية، فبعضهم يناصر الصهيونية ويدافع عنها والبعض الأخر يرفضها دفاعاً عن قضية فلسطين.

اما النخب الشعبية؛ فهي منقسمة ايضا الى مناصرة ورافضة لهذا الكيان الغاصب، ويعود سبب هذا الانقسام الى تركيبة لبنان الدينية والفكرية والأيديولوجية التي تربط كل فئة من فئاته مع جهة اخرى خارجية على الاغلب، وعليه سوف نناقش تلك الانقسامات والتناقضات من خلال هذا البحث، الذي اخترنا فيه مجموعة من النخب الفكرية والشعبية انموذجاً للموقف اللبناني من مشروع الاستيطان الصهيوني.

The Lebanese position on the Zionist settlement project until 1948 (Intellectual and popular elites model)

Lecturer Dr. AbdulSalam M. Idan Alrubaei
University of Al- Mustansiriyah

Summary:

It was not strange for Lebanon to have a position (intellectual or popular elites) from the Zionist settlement project from the end of the First World War until the establishment of the State of Israel in 1948. Lebanon is associated with the occupied Palestine with many links, the most important of which is land, language, religions and customs. Lebanese intellectuals on the Palestinian issue, some of them advocating and defending Zionism, while others reject it in defense of the question of Palestine.

The popular divisions are also divided into supporters and oppressors of this tyrannical entity. The reason for this division lies in Lebanon's religious, intellectual and ideological structure, which links each of its groups to another, mostly foreign. Therefore, we will discuss these divisions and contradictions

through this research, In which a group of intellectual elites and the popular model of the Lebanese position of the Zionist settlement project.

المقدمة

بدأت عملية الاستيطان الصهيوني منذ أواخر القرن التاسع عشر للميلاد من خلال خطوات مدروسة ولم تخلُ من العنصر الطائفي؛ فقد استوطن اليهود المدن الفلسطينية القديمة "صفد، طبريا، الخليل، القدس" وخلال هذه الفترة نشأ العديد من المستوطنات في القرى الزراعية المحاذية للقرى الفلسطينية دون أي تثير أو مشكلة لدى الفلسطينيين، وعلى إثر بروز النوايا في العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي- عندما دعم الانتداب والدول الأوروبية مشروع الاستيطان الصهيوني، ظهرت العصابات الصهيونية وبدأت استملاك الأراضي بالشراء من بعض الإقطاعيين المستملكين أراضي من فلسطين، فوضحت أبعاد المسألة، ومع ذلك لم تتجاوز النسبة (٦,٥%) من مجموع مساحة فلسطين، مما جعل الفلسطينيين ينظرون بعين الحذر والريبة من الخطر الصهيوني، لقد مرت العمليات الاستيطانية بمراحل عديدة نذكر اهمها:

مرحلة العهد العثماني: حيث قامت الحركة الصهيونية بزرع عدد من المستوطنات فكانت كالجزر المعزولة وسط المناطق العربية، وأصبحت فيما بعد نقاط ارتكاز حتى نهاية عام ١٩١٨.

مرحلة الانتداب: ترافقت مع الانتداب البريطاني على فلسطين واقتطع الانتداب أخصب الأراضي في مرج ابن عامر ووادي الحوارث وغيرها من المناطق، وعملت سلطات الانتداب على تكثيف الهجرة لتحقيق التوازن العددي بين السكان الأصليين والمستوطنين، وحرصت على زيادة المساحات التي في حوزة اليهود وخاصة الأراضي الزراعية، وقلب الوضع الاقتصادي بالاستيلاء على المرافق الحيوية والصناعات الناشئة في ذلك الوقت، وتغيير الوضع بالنسبة للأماكن المقدسة، بلغ عدد المستوطنات المقامة من (١٩١٨ – ١٩٤٨) نحو (٣٦٣) مستوطنة.

بدايات الاستيطان الصهيوني والموقف اللبناني منه:

قام الاستيطاني الصهيوني على أسس استعمارية وعنصرية تخالف مبادئ القانون الدولي والعهود والمواثيق والاتفاقات الدولية، حيث حدد المؤتمر الصهيوني الأول عام ١٨٩٧ في قراراته العلنية هدف الحركة الصهيونية بإقامة وطن "للشعب اليهودي" في فلسطين. وركز على الهجرة والاستيطان لتحقيق الاستعمار الاستيطاني فيها، شدد (ثيودور هرتزل) رئيس المؤتمر ومؤلف كتاب "دولة اليهود" على أهمية الاستعمار الاستيطاني اليهودي في ما يسمى ب"أرض الميعاد" وتهجير اليهود إليها والاستيطان فيها وترحيل العرب منها، وتحويل الكيان الاستيطاني اليهودي إلى قاعدة ثابتة لخدمة الدول الاستعمارية في آسيا وأفريقيا، وكمركز لليهودية العالمية من أجل السيطرة على العالم، واعتبر هجرة اليهود إلى فلسطين والاستيطان فيها وترحيل العرب منها المرتكز الأساسي للحركة الصهيونية ولإقامة الكيان الاستيطاني، وطالب هرتزل بترحيل العرب عن دولة اليهود المزمع إقامتها وطردهم عبر الحدود وحرمانهم من العمل لتسهيل طردهم، ورفع شعار: "فلسطين وطن بلا شعب لشعب بلا وطن"، وذلك لاقتلاع الشعب العربي الفلسطيني من وطنه وتوطين اليهود فيه، ووضع المؤتمر الصهيوني الأول الأهداف التالية لإقامة الكيان الاستيطاني:

١) توطين المزارعين والعمال الحرفيين اليهود في فلسطين بإنشاء المستوطنات (المستعمرات) فيها.
٢) تقوية العاطفة القومية والوعي القومي اليهودي وتنظيمهما، أي تنمية الوعي الديني لدى اليهود.

٣) تنظيم اليهودية العالمية وتوحيدها في منظمات محلية وعالمية.
٤) الحصول على موافقة الدول الكبرى على هدف الصهيونية وأصبحت الهجرة اليهودية والاستيطان اليهودي وترحيل العرب المرتكز الأساسي في الفكر والممارسة الصهيونية لإقامة الكيان الاستيطاني وتحقيق الاستعمار الاستيطاني الصهيوني[١].

تبلور الاستعمار الاستيطاني من خلال أربع مراحل وهي: الأولى بدأت بتهجير اليهود أو ما يعرف بالهجرة اليهودية إلى فلسطين، ثم اتت المرحلة الثانية للاستيطان وفيها بنيت المستعمرات اليهودية، اما المرحلة الثالثة فقد استخدام المستوطنون الإرهاب والمجازر الجماعية لترحيل العرب، وانتهت بالمرحلة الرابعة وهي إشعال الحروب العدوانية لتحقيق التوسع والاحتلال والضم وتهويد الأرض والمقدسات العربية، وترحيل الشعب العربي الفلسطيني من وطنه فلسطين، وتحويل الاستعمار الاستيطاني إلى امبريالية يهودية جديدة في البلدان العربية[٢].

انطلق وعد بلفور الاستعماري الذي نص على إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، ونظام الانتداب البريطاني، الذي كان شكلاً جديداً من أشكال الاستعمار بعد الحرب العالمية الأولى من الأطماع والأكاذيب والخرافات والأساطير التوراتية والتلمودية لإقامة الكيان الاستيطاني اليهودي في فلسطين، لخدمة مصالح الاستعمار البريطاني والصهيونية العالمية ومعاداة العروبة والإسلام، إن فلسطين أرض عربية وجزء لا يتجزأ من سورية منذ فجر التاريخ وحتى نظام الانتداب الاستعماري عليها، لذلك اعتبر الشعب العربي والأمة العربية أن وعد بلفور ونظام الانتداب باطلان، لأن فلسطين ليست أرضاً بريطانية كي تمنحها بريطانيا الاستعمارية إلى اليهود الغرباء عنها والدخلاء عليها، في بادئ الأمر قامت الحركة الصهيونية بمساعدة بريطانيا والولايات المتحدة ببناء القاعدة الديمغرافية اليهودية الغريبة والدخيلة في فلسطين العربية. واتصف سلوك المستوطنين تجاه سكان فلسطين الأصليين وأصحابها الشرعيين بالإرهاب والعنصرية والكراهية والبغضاء من أجل ترحيلهم والقضاء عليهم لجلب قطعان جديدة من المستوطنين اليهود، ودفع العرب إلى الرحيل من وطنهم فلسطين إلى البلدان العربية المجاورة. وبالتالي فإن ممارسة الإرهاب والإبادة والعنصرية والتمييز العنصري هي المرتكزات الأساسية لتحقيق الاستعمار الاستيطاني اليهودي. رفع المهاجرون اليهود والحركة الصهيونية حق اليهود في الهجرة وترحيل العرب، حقهم في الغزو والفتح والضم والاستيلاء على الأرض والمياه والثروات العربية إلى مرتبة القداسة الدينية، وأجمع المؤسسون الصهاينة على أن تقوم الاستراتيجية الصهيونية على كيفية الاستيلاء على الأرض العربية الفلسطينية. وقامت المنظمات والمؤسسات الصهيونية على هذا الأساس وعلى الأخص الصندوق القومي اليهودي الذي تأسس عام ١٩٠٣ وشركة (الكيرن كيمت) لشراء الأراضي والتي تأسست عام ١٩٢٧ وأكد ثيودور هرتزل، مؤسس الحركة الصهيونية هذه الاستراتيجية في مذكراته وكتب يقول: "إن الحركة الصهيونية منذ نشأتها كحركة سياسية وضعت أمامها هدف الاستيلاء على الحد الأقصى من الأرض لحتمية إقامة دولة يهودية كبيرة"[٣].

حدد الزعيم الصهيوني البارز (أوشي سكين) عام ١٩٠٤ هذه الاستراتيجية وقال: "من أجل تأسيس حياة مستقلة للطائفة اليهودية، أو على الأصح، تأسيس دولة يهودية في فلسطين، من المحتم بالدرجة الأولى، أن تكون جميع أراضي فلسطين أو معظمها ملكاً لشعب إسرائيل. وبدون حق ملكية الأراضي لا تكون فلسطين يهودية أبداً"، واتبعت الصهيونية سياسة سلب الأراضي العربية عن طريق الانتداب البريطاني في فلسطين وعبر أول مندوب سامي فيها اليهودي "هربرت صموئيل" وعن طريق شراء الأراضي من بعض العائلات الإقطاعية الكبيرة اللبنانية والسورية وبعض ضعاف النفوس من الفلسطينيين، وبالقوة العسكرية عن طريق حروب التوسع الصهيونية واغتصاب الأرض بالاحتلال

والسيطرة العسكرية ولأغراض عسكرية مزعومة، وأخذت الحركة الصهيونية بدعم وتأييد كاملين من سلطات الانتداب البريطاني تقيم المستعمرات اليهودية في فلسطين العربية لتحقيق التوسع الجغرافي والديمغرافي وترسيخ الوجود اليهودي بخلق الأمر الواقع والقبول والتسليم والاعتراف به من طرف السكان الأصليين وأصحاب الأرض الشرعيين، وانطلقت الصهيونية لتحقيق أطماعها الدنيوية من مزاعم وخرافات وأكاذيب رسخها كتبة التوراة والتلمود، كالإيمان بالتفوق والاستعلاء لعزل اليهود ومقاومة اندماجهم لترحيلهم إلى فلسطين العربية، واستغلال الحركات اللاسامية والتعاون معها في بعض الأحيان وتضخيمها وابتكارها أحياناً أخرى، ورفع الصهاينة أطماعهم في الأرض والثروات العربية وممارستهم للعنصرية والإرهاب والإبادة إلى مرتبة القداسة الدينية، إلى جوهر وأساس الديانة اليهودية، ودفعهم إيمانهم بتفوق العرق اليهودي ومقولة "شعب الله المختار" إلى الاعتقاد قولاً وعملاً بالعنصرية والتمييز العنصري وبتهجير اليهود لتحقيق النبوءة التوراتية الكاذبة في أرض الميعاد المزعومة، من النيل إلى الفرات، بزعم أن الله قد منحهم هذه الأرض وأن ما يمنحه يهوه لا يستطيع إنسان على وجه الأرض انتزاعه منهم، وهنا تكمن خطورة اليهودية والصهيونية على الأرض والثروات والحقوق العربية وعلى العرب والمسلمين والبشرية جمعاء، وانطلاقاً من المساعي والمخططات الصهيونية والاستعمارية بدأت الصهيونية بتهجير اليهود إلى فلسطين، وتصاعدت الهجرة من ألمانيا في أعقاب استيلاء النازية على الحكم فيها في مطلع الثلاثينات، ولعب المهاجرون اليهود الألمان وأموال التعويضات التي وافقت ألمانيا النازية على دفعها لهم بموجب (اتفاقية هعفرا) بين وزارة الاقتصاد النازية والوكالة اليهودية في فلسطين الدور الأساسي في إنجاح الاستعمار الاستيطاني وبلورة المجتمع اليهودي في فلسطين. وكانت المستعمرات اليهودية عبارة عن قلاع محصنة ذات أبراج للمراقبة وأسوار عسكرية. وبالتالي تم إعدادها لتلعب الأدوار العسكرية والاقتصادية في الحروب التوسعية القادمة للكيان الاستيطاني، وحرص اليهود على إقامتها في مناطق ومواقع استراتيجية ذات أهمية عسكرية وأمنية واقتصادية وعلى التلال والجبال للإشراف على المناطق السكانية العربية(٤).

حددت الحركة الصهيونية العالمية إقامة "دولة اليهود" في بادئ الأمر في جنوب سورية، في فلسطين العربية كمقدمة لإقامة إسرائيل العظمى من النيل إلى الفرات، لذلك أصبحت الأرض العربية والهجرة اليهودية وترحيل العرب وإقامة المستعمرات اليهودية جوهر النشاط الصهيوني والاستعماري، لقد شكل الاستيطان عنصراً رئيسياً من عناصر إقامة دولة اليهود في فلسطين العربية، باعتباره وسيلة عملية تهدف إلى تهويد فلسطين وإقامة الكيان الاستيطاني فيها وتزويده باستمرار بالعنصر البشري لتقوية طاقاته العسكرية والاقتصادية والبشرية، وانطلاقاً من وثائق التعاون النازي- الصهيوني يمكن القول إن النازية خدمت نجاح الاستيطان اليهودي في فلسطين عن طريق تعاونها مع الحركة الصهيونية لتنظيف ألمانيا وأوروبا من اليهود وتسخير إمكانيات ألمانيا النازية لتهجيرهم سراً إلى فلسطين، وقام المهاجرون اليهود الألمان بخلق المجتمع اليهودي الاستيطاني في فلسطين بسبب مهاراتهم المهنية والتعويضات التي دفعتها لهم ألمانيا النازية بشكل بضائع ألمانية أرسلت إلى تل أبيب، وساهم هتلر في تأسيس "إسرائيل" من جراء جرائمه بحق اليهود الاندماجيين واستغلال الصهيونية للعطف العالمي الذي وّلدته الجرائم النازية بحقهم، كما ساهم في تقويتها عن طريق أموال التعويضات الهائلة التي قدمتها ألمانيا لإسرائيل وهدايا الأسلحة الحديثة التي لا تزال تتدفق عليها حتى اليوم ومنها ثلاث غواصات نووية وبطاريات صواريخ باتريوت والدبابات الألمانية الحديثة فوكس(٥).

<u>جرى الاستيطان الصهيوني في بادئ الأمر باتجاهين</u>: الاول/ بالعمل على زيادة عدد اليهود في المدن الفلسطينية الكبرى كالقدس وحيفا وطبرية وصفد، وكانت مستعمرة تل أبيب في بادئ الأمر مجرد

ضاحية لمدينة يافا، والاتجاه **الثاني/** إقامة مستعمرات زراعية عسكرية في المواقع الاستراتيجية وقرب الحدود، بحيث أصبحت كل مستعمرة يهودية بمثابة قلعة عسكرية محصنة، وجهت الصهيونية اهتمامها الأساسي إلى امتلاك الأرض العربية بمساعدة سلطات الانتداب البريطاني لأنها المرتكز الأساسي لإقامة المستعمرات وتحقيق الاستعمار الاستيطاني، ولإحداث التغييرات الديمغرافية والاستيلاء على أكبر مساحات ممكنة من الأراضي والثروات والممتلكات العربية لتهويد فلسطين والمقدسات العربية والإسلامية فيها. وأصبح الهدف الأساسي للصهيونية الاستيلاء على الأراضي العربية واستملاكها بمساعدة سلطات الانتداب البريطاني وإنشاء المستعمرات اليهودية فوقها، وبالتالي لعبت سلطات الانتداب البريطاني الاستعمارية الدور الأساسي في نقل ملكية مساحات واسعة من الأراضي العربية إلى المهاجرين اليهود، تميز الاستعمار الاستيطاني اليهودي عن بقية نظم الاستعمار الاستيطاني بصفة انفرد فيها وهي المشروعات الإحلالية والإجلائية القائمة على أساس عنصري استعماري مقيت، وهو "إحلال يهود العالم مكان الشعب العربي الفلسطيني"، فالاستعمار الاستيطاني الإجلائي هو الأساس والمرتكز والمنطلق الاستراتيجي للمشروع الصهيوني في الوطن العربي، واتخذت معظم المستعمرات اليهودية التي أقيمت منذ الانتداب البريطاني وحتى الاحتلال الإسرائيلي طابعاً عسكرياً تنطلق منه العصابات اليهودية للاستمرار في إرهاب وإبادة الشعب الفلسطيني ومصادرة أراضيه وتدمير منجزاته، والاعتداء على البلدان العربية المجاورة، ويبدو ان الاستعمار الاستيطاني اليهودي قام على ثلاثة اركان وهي:-

أولاً: تهجير اليهود إلى فلسطين بمساعدة الحركات اللاسامية وألمانيا النازية، وإغرائهم بالأراضي والممتلكات العربية والمساعدات الأميركية والألمانية والأوروبية الأخرى.

ثانياً: ترحيل العرب عن طريق الإرهاب والمذابح والحروب العدوانية لبث الخوف والرعب في نفوسهم وابتكار الأساليب الوحشية لتشريدهم وتضييق الخناق عليهم.

ثالثاً: إقامة المستعمرات اليهودية على الأراضي الفلسطينية وتوطين المهاجرين اليهود فيها.

أولا: موقف النخب الفكرية اللبنانية (المؤيدة والرافضة):

أ- النخب المؤيدة للصهيونية:

في عام ١٩٠٤ اصدر (شاهين مكاريوس)[٦]، ابن آبل السقي في جنوب لبنان كتاباً في مصر بعنوان "تاريخ الإسرائيليين "يشيد بأعمال المنظمة الصهيونية ويدعي أن الاستيطان اليهودي أدى الى التقدم والعمران في فلسطين، وان من اثار هذه الجمعيات وخيراتها شراء القرية المطلة في قاء مرجعيون بولاية بيروت، واستيطان الإسرائيليين لها وشراء أراض في جهات الحولة وطبريا ويافا وحيفا حيث استوطنها اليهود وأبدلوا حالتها من عسر الى يسر ومن جدب الى خصب"[٧].

عام ١٩٠٦ رد "فريد كساب" على نجيب عازوري بكتابه المعنون بـ "الزعم لخطر يهودي رداً على السيد عازوري" دافع فيه عن وجهة نظر الحركة الصهيونية وفي ادعاءاتها في فلسطين، وهاجم عازوري لإعطاء الشمولية للأمة العربية على بلاد الشام، ويرى كساب إن الأمة العربية هي البقعة الجغرافية المعروفة بالجزيرة العربية حيث يعيش آلاف السكان يوحدهم الإسلام وهم منقسمون بين رعاع وقبائل يتصارعون فيما بينهم، ويستند كساب في حق الصهيونية في فلسطين على اساس شرائهم الأراضي، فمن يشتري الأرض له الحق بالتملك، ويرى كساب أن إقامه المستعمرات اليهودية في فلسطين ليس خطراً استيطانياً يهدد البلد والمنطقة بل يرى أنها حولت الأراضي البور الى جنائن ومزارع، وان اليهود جلبوا معهم الصناعة والازدهار[٨].

ولجهة مواقف النخب المؤيدة للصهيونية فإننا لا نوافقها الرأي، باعتبار أن اليهود كانوا يشترون ويستوطنون أخصب الأراضي واجودها كالحولة وطبرية والسهل الفلسطيني الساحلي وهي بالطبع صالحة وجيدة للزراعة، كما أن استثمار الأموال الطائلة التي كانوا يحملونها، كان عاملاً مساعداً لتبديل حالة المنطقة واظهار الفرق بين قدرات العرب واليهود، لكن الهدف الأبعد كان الاستيطان والسيطرة.

ب- النخب الرافضة للصهيونية:

أما المطران "غريغوريوس الحجاز" وهو من مواليد روم قضاء جزين، فقد عين نائباً بطريركيا في عكا عام ١٩٠٠، ثم تمت رسامته مطرانا في كاتدرائية الشام، وكان يعمل ضد الصهيونية في فلسطين، وراح يبعث في شعبه حب الوطن والأرض ويحثهم على المحافظة عليها والدفاع عنها، ويحذر الفلسطينيين من نتائج بيع الأرض لليهود الذين كانوا يدفعون اسعارا عالية مغرية لحمل الأهالي على بيعها وحارب الاقطاعيين الكبار الذين لم يستمعوا لكلامه بل تعاملوا مع الصهيونية وباعوا أراضيهم بأسعار مرتفعة وطردوا الفلاحين الذين كانوا يعيشون منها وحذر من أن الهجرة اليهودية التي أفادت بعض الناس قد أضرت بمصالح بقية السكان وشردتم من الأرياف الى المدن حيث كلفة المعيشة عالية الى حد تصبح معه الحياة مستحيلة [٩].

ومما يذكر أنه عندما قام المطران غريغوريوس الحجار بزيارة البابا ببوس الحادي عشر، طلب منه بأن تلاقي القضية الفلسطينية حلها العادل، وعندما طلبت منه إذاعة الفاتيكان أن يلقي خطابا بالعربية، لبي الطلب وبدأ حديثه بتحية المناضلين الفلسطينيين[١٠].

حملت مواقفة النضالية إعجاب مواطنية وتقديرهم، حتى قال عنه القس فريد عودة في حفل تأبينه في ١ كانون الأول سنة ١٩٤٠ في الناصرة "كان فقيد البلاد قائداً وزعيماً، واستخدم زعامته في سبيل أسعاد سكان هذه البلاد والدفاع عنهم وعن حقوقهم، واحب فلسطين وجاهد طويلاً في سبيل اسعاد سكانها[١١].

دافع المطران عن الفلاحين والمزارعين ودعاهم للبقاء في أراضيهم ومنع الصهيونية من الاستيلاء عليها، وفي حديثه الى جريدة الصحافي التائه لصاحبها إسكندر رياشي يلمح المطران الى حالة الفلاح قائلاً بعاطفة وانفعال: "أنتم في لبنان مخدوعون بأمر الصهيونية ولا ترون فيها غير المال الذي جاءت به الى بلادنا، لكنه مال باق لليهود واذا استفاد منه بعض الملاكين القلائل عندنا، فالفقر والحاجة اللذان يعيش بهما أبناء الشعب لم يسبق لهما مثيل[١٢].

حارب المطران الصهيونية لأنها حركة عنصرية تريد الاستيلاء على فلسطين تمهيداً لطرد شعبها، وعمل على دحض المفاهيم والادعاءات الصهيونية حول حقوقهم بأرض فلسطين وادعائهم بأنهم شعب الله المختار وحقهم التاريخي في فلسطين "بأن شعب فلسطين العربي الذي يضم مسيحيين ومسلمين فلسطينيين الأصليين الذين يوطنوا ذه البلاد منذ آلاف السنين قبل اليهود، ولم يقو اليهود على طردهم وبقيت البلاد باسمهم إلى الأبد ولم يملك اليهود إلا جزءاً منها، وعند ظهور الدين المسيحي في فلسطين تنصر سكانها ومعهم قسم من اليهود كما تذكر الكتب السماوية، واصبحت فلسطين كلها مسيحية، وحين جاء الفتح الإسلامي فقد احترم المقدسات لأنه يجل المسيح نفسه، لكن القسم الأكبر من المسيحيين اعتنق الدين الإسلامي وعمت اللغة العربية البلاد"[١٣].

ويؤيد المؤلف "غرانوت" ما قاله المطران بقوله: "إن الفلاحين اليهود في الجليل انصهروا في الشعوب المحيطة بهم وأن العرب الفلسطينيين الحاليين هم من نسلهم"[١٤]، اذ يعتبر بعض المؤرخين ان الملكية الجماعية للأراضي في القرى العربية الفلسطينية تعود جذورها الى العهد العبراني وهذا يدل بأن

الشعب اليهودي الذي كان يعيش في فلسطين لما اعتنق المسيحية ومن بعدها الإسلام حمل إليها عاداته في استغلال الأراضي.

كما أن المؤرخ "س. و، بارون" يزيد على أقوال المران أيضاً بقوله عن الشعب اليهودي بأن اليهود الحاليين لا يمتون بصلة الى اليهود الذين كانوا في فلسطين، بل ترجع جذورهم الى الجاليات اليهودية التي كانت منتشرة في حوض البحر المتوسط وكانت تتألف من مهاجرين يهود قطعوا صلاتهم بالوطن الأم وتشبه الى حد بعيد الجاليات الفينيقية والمصرية واليونانية التي انتشرت قبل الميلاد وانصهرت مع بقية الشعوب(١٥).

وحدث تحول هام في تاريخ فلسطين منذ القرن السابع حيث دخلت في إطار الدولة العربية التي امتدت فيما بعد من المحيط الى الخليج، وهي عربية منذ أربعة عشر قرناً دون انقطاع يقول "الياهو غرانت" ان اهل فلسطين هم وحدة مع سائر العرب في اللغة والجنس منذ الفتح العربي هام ٦٣٢م ويشبه ذلك بفتح النورمانديين لإنكلترا وغلبة الأمريكيين الحاليين على الهنود الحمر، وان الاوضاع التي استقرت في فلسطين لا يمكن الرجوع عنها، كما لا يعقل ارجاع ولاية نيويورك إلى الهنود الحمر(١٦).

في هذا الصدد تقول الكاتبة الإنكليزية "مودرويدن" نحن الإنكليز لا ننتظر أن نسكن ألمانيا أو ندعي بذلك لمجرد كون أجدادنا "الأنكلوساكسون" عاشوا هناك أياماً، ولا نسمح للولش ان يمتلكون إنكلترا بناء على أنهم كانوا هنا قبلنا، إنها لفكرة مضحكة ! إن مكوث أمة ألفا وثلاثمائة سنة في ارض من الأراضي، يخول لها الحق الكامل بامتلاكها امتلاكاً لا يحتمل الجد والنزاع، ولم يحدث هذا مع الأسف إلا في فلسطين"(١٧).

والمسألة الصهيونية لا تستند الى واقع تاريخي أو قومي بل الى موضوع الاضطهاد الذي لاقاه اليهود في معظم الدول الأوربية فلم يستطيعوا الانصهار في تلك المجتمعات وتطورت المشكلة من مسألة الجنس والدين الى مسألة اقتصادية وملكية للأراضي والوطن(١٨).

وثار المطران مع أهل البلاد ضد قرار تقسيم فلسطين الذي دعت اليه لجنة التحقيق عام ١٩٣٧ إلى دولتين يهودية وعربية قائلاً "إن أفظع ما سيسطره التاريخ هو هذا التحدي لكياننا الروحي وسيكون في جبين الأمة الانكليزية وصمة عار لا تغسلها مياه بحرها كلها"(١٩).

وينبه المطران بأن ما جرى في فلسطين سيقع على لبنان إذا غمرته سيول المهاجرة الصهيونية "لآن خطرها لن يبقى في فلسطين بل وفي لبنان أيضاً"(٢٠).

ولعل أفضل ما كتب في تلك الفترة عن الخطر الصهيوني على لبنان والعالم العربي ورد في كتاب "الشيخ يوسف الخازن "تحت عنوان "الدولة اليهودية في فلسطين "فهو يناقش الصهيونية من الجانب السياسي والتاريخي، وهو لا يحمل العداء للسامية ولا يرى في الصهيونية مؤامرة يهودية عالمية، وكان خطابه مبنياً على المنظار الوطني القومي، فالصهيونية مرفوضة لديه لا بسبب يهوديتها بل بسبب استعماريتها، وهو يشكك في جدوى إنشاء دولة يهودية في المطلق ويبين وصف ارنست رينان لهذه الدولة بأنها "دولة معادية للطبيعة"(٢١).

وفي بداية الثلاثينات قام المفكر اللبناني أمين الريحاني بدور فعال في مجال التوعية على حقائق القضية الفلسطينية وأبعادها، والتصدي للدعاية الصهيونية، وايضاح الموقف العربي ورسم معالم الطريق الذي ينبغي على العرب سلوكه لدرء الخطر الصهيوني عنهم.

برز الريحاني على الصعيدين العربي والغربي، فساهم خلال إقامته الطويلة في الغرب في الولايات المتحدة، بحملة كبيرة لنصرة القضية الفلسطينية، فحاضر وكتب وناظر مما حمل بعض المصادر الصهيونية(٢٢) على الكتابة عنه أنه اعتنق "العروبة دينا اجتماعياً يعمل لأجله ويكرس له حياته "وقالت

أنه في تمسكه بقضيته "يكرس الذات نحو أرض الآباء والأجداد، ففي شباط ١٩٣١، أثر الاضطرابات الدموية حول حائط البراق بالقدس كتب الريحاني: "أن اليهود المواطنين هم أخوة لنا، لكن الصهيونيين القادمين من الخارج هم رواد حلم قائم على الفتوحات، ونبه العرب الى أن تحقيق الأطماع اليهودية يؤدي الى فقدان العرب أراضيهم وطردهم الى الصحراء"، كما نبه العقل الغربي المعجب بالدعاية لما أنجزه الصهيونيين في فلسطين، فقال: أن ما قاموا به لا يمنحهم في أي حال من الاحوال حقاً لتحويل فلسطين الى وطن قومي يهودي وطرد السكان العرب منها "كما نبه الى أن الصهيونية بمشاريعها المختلفة "تناقض الحقوق الوطنية للسكان الاصليين وتلحق بهم أضرار بالغة"[٢٣]

كما عارض نتيجة فهمة لطبيعة الصهيونية فكرة تقسيم فلسطين عندما بدأت بريطانيا بالتفكير فيها في الثلاثينات، ووصف التقسيم بأنه أسوأ اقتراح قدم لحل قضية فلسطين: فهو دلالة على فقدان الحكمة لدى السلطات المختصة إن لم نقل العدالة وانعدام البصيرة إن لم نقل الاستقامة وانعدام الضمير إن لم نقل الشجاعة في مواجهة الحقائق[٢٤].

ونبه الريحاني إلى الأهداف الصهيونية البعيدة المدى ومخططاتها التوسعية المعد لاستيعاب اليهود المشتتين في العالم، وخطر هذه الأهداف والمخططات على الدول العربية المحيطة بفلسطين باعتبار أن رقعة فلسطين لا تكفي لاستيعاب هذا العدد الكبير من اليهود[٢٥].

وفي محاضرة له سنة ١٩٣٧ نجد وعياً نقياً للتنظيم الصهيوني، وهو يقول في هذا الصدد الصهيونية متحدة فعلينا بالاتحاد، الصهيونية منظمة فعلينا بالتنظيم، الصهيونية مجاهدة فعلينا بالجهاد، الصهيونية شديدة الايمان فعلينا بإيماننا العربي القومي نوحده ونعززه، الصهيونية غنية وما نحن بفقراء وللصهيونية دعاية كبيرة في العالم فعلينا أن نقاومها بدعاية مثلها[٢٦].

في العام ١٩٠٥ وضع نجيب عازوري كتاب باللغة الفرنسية بعنوان "يقظة لأمة العربية في آسيا التركية، محذرا من مخاطر الصهيونية ودعا لمواجهتها بوعي العرب لقوميتهم، وقال عازوري باستمرار المواجهة بين القومية العربية وجهود اليهود الخفية لإعادة تكوين مملكة إسرائيل القديمة وقال: "أن مصير هاتين الظاهرتين أن تتعارضا حتى تنتصر احدهما على الأخرى حيث يتوقف مصير العالم بأجمعه"[٢٧].

وأدرك عازوري أن أهداف الحركة الصهيونية لا تقتصر على فلسطين بل إنشاء إسرائيل الكبرى ويشير الى حدودها كما ترغب الصهيونية إلى جبل حرمون الذي يضم منابع الأردن ووادي الليطاني في الشمال مع الأراضي المحصورة بين راشيا وصيدا، وعكس ما هو متوقع فلم يكن الرد على عازوري من الأوساط اليهودية بل من بعض الجماعات اللبنانية المؤيدة للصهيونية[٢٨].

أما ميشال شيحا، فكان صحفياً عالج القضية الفلسطينية بشكل يومي وكان يوجه ويحذر من أخطار الصهيونية ونرى في افتتاحيته في صحيفة **(le Jour)** اهتمامه بالقضية الفلسطينية على الصعيد الوطني، وهو يقول: "للبنان حق وكان عليه واجب وهو من فلسطين في أمة الجوار بأن يسمع في هذه القضية صوته حتى النهاية"[٢٩].

وفي الساعات الأخيرة من سنة ١٩٤٧ قال شيحا: "إن قرار تقسيم فلسطين بخلق الدولة اليهودية لمن أعظم الضلالات التي اقترحتها السياسة المعاصرة، فلسوف تستتبع هذا الأمر، وأن بدا يسير، أعجب العواقب، ولا نكون قد أتهنا العقل أن قلنا ان هذه القضية الضئيلة ستعمل على زعزعة الأرض من أساسها"، وبحلول سنة ١٩٤٨ عند قيام إسرائيل نجده يحذر ليس في المشاكل التي قد تثير اهتمام الشعب اللبناني المتاخم لفلسطين اليهودية مشكلة أعظم منها وإزاء هذا القلق يضيف: "إن الاهتمام بوجود اسرائيل على أبوابنا يرغمنا على النظر في جميع مظاهر هذا الجوار ومغباته" ويضيف "إن نحن لم

نسهر على المكيدة التي حفروها تحت طلاء من ذهب، أضحت التربة ملغومة في كل مكان "ولهذا يحذر لبنان ويدعوه ليكون أول من يبتغي الدفاع عن نفسه"[٣٠].

وكان شيحا يفهم طبيعة العدو التوسعية، لذا فهو يحدد في أوائل سنة ١٩٥٢ أن إسرائيل "رائدها التوسع في كل عقد من السنين أو عقدين... وشر البلية أن الدولة اليهودية خلقت لتكون دائمة التوسع"[٣١].

كما حذر شيحا من مغبة الصلح مع إسرائيل قائلاً أن الوطن القومي لن يكون "إلا مدخلاً لجسر"[٣٢]، لذلك فهي "باطلة جميع ضمانات إسرائيل... وسباق التقدم الذي سلكته إسرائيل يدل على أن ساعة التوسع.. لا محيد عنها"، ولو فرضنا أن العرب اليوم يرضون بالتوقيع فلن تنقضي خمس سنوات و عشر حتى يتحدث إليهم عن مدى حيوي وينتهي محذراً أنه من الجنون أن نهيئ بأيدينا اغتصابات الغد بصلح اليوم[٣٣].

ثم يتساءل كيف تسوغ الولايات المتحدة بأن تكف يد من الملكية.. أن يستعاض إكراها بشعب عن شعب.. وان يغتصب الإرث اغتصابا وكيف لا يفتح مؤيدو الصهيونية من الأمريكيين أبواب الولايات المتحدة على مصاريعها أمام جميع اليهود[٣٤].

وتحدث شيحا عن الأمم المتحدة متهماً أياها بعدم التجرد "إن أشد ما تفتقر إليه هيئة الأمم المتحدة هو التجرد، وأن فاتها أن تحكم بالإنصاف تكون قد قضت على نفسها، وزال أول ما يبرر وجودها ألا وهو صد التجني على الحق"[٣٥].

وبعد الاعلان عن قيام اسرائيل كتب شيحا معرباً عن أسفه لان "الأمم التي وافقت على تقسيم فلسطين قد صوتت لأشد الدول عرقية وطائفية في المعمورة، وكان تصويتها خزياً"[٣٦].

ثم دعا شيحا إلى مقاومة اسرائيل، وكان يصف المقاومة بأنها ليست أمرا لزاماً فحسب، أنها لأمر حيوي "وكان يتنبأ أن اليهود "أن هم مضوا في عنادهم واستطاعوا الصمود، انهم سائرون لا محالة نحو حرب المئة عام"[٣٧].

وهكذا يكون المفكرون اللبنانيون على حق عندما اشاروا الى مخاطر لصهيونية على بلادنا ومصالحنا منذ بداية القرن الماضي ولا تزال.

لعب المثقفون اللبنانيون دوراً هاماً في دعم القضية الفلسطينية ومواجهة الغزو الصهيوني، "فالكاتب والمؤرخ رئيف خوري الذي كان مدرساً ومحاضراً وشاعراً في مدينة القدس، وقف جانباً كبيراً من إنتاجه الفكري والادبي دفاعاً عن القضية، وابان انتفاضة الشعب الفلسطيني في ثورته الكبرى ١٩٣٦ نشر عملين أدبيين من وحيها "جهاد فلسطين وثورة بيديا" ومثل الشبيبة العربية في مؤتمر الشبيبة الديمقراطية العالمية في نيويورك ١٩٣٨، وبرز خطيباً شجاعاً قوي الحجة دفاعاً عن قضية العرب في فلسطين، وانتزع قراراً بتأييدها، وفضح طبيعة الصهيونية باعتبارها حركة مؤذية لمصالح العرب القومية وخادمة لمطامع الاستعمار[٣٨].

ثانياً: الموقف الشعبي اللبناني:

أ- الموقف الشعبي من عام ١٩٢٠-١٩٣٦:

دخل نضال الشعب اللبناني ضد الحركة الصهيونية في نسيج نضاله العام ضد الانتداب الفرنسي منذ أوائل العشرينات، واتخذ أشكالا عديدة تعبيراً عن الرفض الشعبي لفصل لبنان عن بلاد الشام التي كانت تضمه الى جانب سوريا وفلسطين قطراً عربياً واحداً، قبل فرض التجزئة الاستعمارية عليها تنفيذاً

لاتفاقية سايكس بيكو ١٩١٦، واخذت مقاومة الشعب للاحتلال الفرنسي أعلى أشكال النضال أي الكفاح المسلح في أسلوب عصابات مقاتلة تعمل في الكثير من مناطق لبنان وبخاصة في الجنوب والشرق.

ومما كان يزيد في تأجيج روح الثورة والتمرد في لبنان ضد سلطات الاحتلال الفرنسي ويؤدي الى تعاظم الحركة الوطنية القومية ذلك التسهيل السخي الذي كانت تمارسه هذه السلطات لمصلحة الهجرة اليهودية عبر لبنان وسوريا الى فلسطين على اساس وعد بلفور[٣٩].

وكان على اللبنانيين مواجهة الانتداب دون تجاهل قضايا إخوانهم العرب وخاصة في فلسطين التي كانت ولا تزال القضية المركزية لهم انطلاقاً من وحدة المصير والأهداف المشتركة. وذلك بمشاركة اللبنانيين في المؤتمرات العربية:

شاركت وفود لبنانية في المؤتمر السوري العام الذي أعلن في آذار ١٩٢٠ استقلال البلاد السورية بما فيها لبنان وسوريا وفلسطين، لكن هذه المقررات لم تنفذ بسبب الهجوم الذي شنته القوات الفرنسية على الجيش العربي في ميسلون صيف ١٩٢٠ وأحكام سيطرتها على سوريا، كذلك اشترك بعض اللبنانيين مع اخوانهم العرب في المؤتمر السوري الفلسطيني بين آب وأيلول ١٩٢١ في جنيف وطالبوا في مذكرة أرسلوها الى عصبة الأمم باستقلال البلاد السورية وانهاء الانتداب الفرنسي البريطاني ورفض المطامع الصهيونية والغاء وعد بلفور، وبالرغم من انشغال اللبنانيين في مشكلاتهم الطائفية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، لكن ذلك لم يشغلهم عن المسألة الفلسطينية نظراً لارتباط المسألتين ولتخوف بعض اللبنانيين من الخطر الصهيوني على لبنان وفلسطين معا، وحارب اللبنانيون التعصب الديني اليهودي في فلسطين.

شارك اللبنانيون في المؤتمر العربي في القدس ١٣ كانون الأول ١٩٣١ الذي نتج عنه الميثاق العربي القومي الذي تضمن التأكيد على وحدة البلاد العربية. وفي عام ١٩٣٤ تساهلت بريطانيا في الحد من الهجرة اليهودية الى فلسطين وسمحت لـ (٤٣٠٠٠) مهاجر يهودي بالدخول الى فلسطين، وفي العام ١٩٣٥ سمحت لـ (٦١٠٠٠) مهاجر يهودي بالدخول الى البلاد[٤٠].

لكن مقابل دعاة الوحدة السورية في لبنان ودعم القضية الفلسطينية ضد الحركة الصهيونية، ارتفعت أصوات في لبنان تنكر كل صله بالعروبة، فالرئيس إميل اده خفض في عهد حكومته من شأن اللغة العربية، وعند افتتاح الجناح اللبناني في باريس عام ١٩٣٦، تحدث اده نحن من سلالات شعوب المتوسط ومن أحفاد الفينيقيين ومن أرض لبنان حيث تعاقبت الحضارات الآسيوية واليونانية واللاتينية[٤١].

وفي العام ١٩٢٧ على أثر مناوشات في مدينة صفد (فلسطين) بين الصهاينة والفلسطينيين، انطلقت مظاهرة في بنت جبيل تأييدا لفلسطين دعا اليها (د. انيس ايراني) الذي قال: "إن اخواننا في صفد يذبحون، ونحن نريد ان نتظاهر لنعبر عن احتجاجنا على المذابح هناك ووصلت المظاهرة الى مخفر الدرك، وطالب المتظاهرون من رئيس المخفر "ملحم الدبغي" نقل استنكارهم لمقتل بعض اخوانهم في فلسطين ثم تابعوا سيرهم الى منزل رئيس بلدية بنت جبيل محمد سعيد بزي تعبيراً عن الاحتجاج[٤٢].

وقال جبران تويني في جريدته "الاحرار" عام ١٩٢٩ أن اليهود شعب متعصب دينياً ولا يجوز لهم الشكوى اذا قوبلوا بتعصب ديني آخر مثل تعصبهم، وعارض تويني الفكرة الصهيونية بقولة "يزعم الصهاينة أن فلسطين كانت وطناً لليهود، فهم يريدون العودة الى وطنهم وهذا زعم يكذبه التاريخ، فإذا جاز لكل ابناء مذهب فتحوا بلاداً ثم تركوها ان يطالبوا بها لكل للمسلمين ان يطالبوا بالأندلس وللإنكليز أن يطالبوا بأمريكا الشمالية، وبناءاً عليه تشكلت لجنة عربية عليا من جميع الأحزاب الفلسطينية ودعت للأضراب وطالبت بمنع الهجرة ومنع بيع الأراضي وتأليف حكومة وطنية مسؤولة أمام مجلس

تمثيلي[٤٣] لكن الحكومة البريطانية لم تستجب لمطالبة اللجنة واستمرت في دعم الصهيونية، وفسحت المجال أمام الصهاينة كي يتسلحوا ويتدربوا في حين كان البريطانيون ينزعون سلاح الفلسطينيين بالقوة[٤٤]، فعم الإضراب والصدام في فلسطين وتوقفت عجلة الاقتصاد وحلت الادارة العسكرية محل الادارة المدينة فنزح عدد كبير من الفلسطينيين الى الدول العربية المجاورة ومنها لبنان[٤٥] وبلغ عددهم بين (١٩٢٠-١٩٣٦) حوالي (٤٠) ألف شخص من الطبقة الميسورة[٤٦].

ب- الدعم الشعبي للفلسطينيين إبان ثورة ١٩٣٦:

واكب الشعب اللبناني نضال الشعب الفلسطيني ضد الاحتلال البريطاني والحركة الصهيونية المتجسدة بالهجرة اليهودية، ففي كل عام كانت تتعاظم حركة الدعم والاحتجاج هذه خصوصاً في ذكرى وعد بلفور، وسرعان ما كانت تتحول هذه الذكرى الى مناسبة وطنية جماهيرية ضد الاستعمار والصهيونية، وكانت تهتز شوارع المدن في لبنان تحت اقدام المتظاهرين دعماً للشعب الفلسطيني واحتجاجا على ممارسات قوات الاحتلال وعلى الهجرة اليهودية الى فلسطين، وادى اندلاع الثورة الكبرى في فلسطين عام ١٩٣٦ التي أشعل شرارتها الأولى المواطن العربي السوري الشيخ عز الدين القسام الى نهوض وطني عام شمل الاقطار العربية ولا سيما لبنان وسوريا،[٤٧] ثم ان هذه الثورة لم تقتصر على فلسطين وحدها بل شاركت الجماهير اللبنانية والسورية فيها بإضرابات وتظاهرات وتشكيل لجان لدعم الثورة ورجالها والاحتجاج على اعمال القمع والارهاب التي كانت تمارسها القوات البريطانية والعصابات الصهيونية المسلحة ضد الشعب الفلسطيني، تجلى الدعم اللبناني بالعتاد والرجال، وذهب المتطوعون اللبنانيون أفراداً وجماعات الى فلسطين للمشاركة في اعمال الثورة "وكان من أوائل الذين ذهبوا الى فلسطين على رأس قوافل المتطوعين العرب الضباط اللبناني فوزي القاوقجي واضعاً خبرته العسكرية في خدمة القضية العسكرية"، نجح في تشكيل قوة عسكرية من (٥٠٠) مقاتل، فتسلم قيادة الثورة، ونظم قواها وفقا للأصول الحربية وعني عناية خاصة بدائرة الاستخبارات التي تنبئه عن حركات الجيوش ومراكزها وخطط قيادتها، فيهاجم ويدافع وينسحب وفقاً لأصول الفن الحربي وقواعده، وانتشرت بلاغات القاوقجي في البلدان العربية فألهبت فيها الحماس، وحملت مئات من الشباب سورية والعراق وشرق الأردن ولبنان الى الالتحاق بالثورة[٤٨]. وكان مع القاوقجي المناضل الوطني اللبناني معروف سعد وحمد صعب ومئات الشبان من جميع انحاء لبنان[٤٩].

كان للمناطق الحدودية اللبنانية الأثر في مشاركة ودعم تحركات الثورة الفلسطينية، نظراً لصلات القربي والعمل بين جانبي الحدود، وكان الفلسطينيون يتلقون المعونة المادية والمعنوية من وطنيي جبل عامل منذ بدء الانتفاضة في فلسطين عام ١٩٣٦"[٥٠].

وكان لبنت جبيل الدور البارز في علاقتها بالثورة الفلسطينية، ففي العام ١٩٣٦ كانت على موعد مع ثوار فلسطين حتى أن صحيفة التايمز اللندنية قالت آنذاك "ان المقاومة الفلسطينية تدار من دمشق وبنت جبيل "وكان ـول شهيد لقضية فلسطين من بنت جبيل يدعى قاسم أبو طعام المعروف بالزقلوط وقد استشهد في الفيتري في حيفا[٥١].

وخلال الثورة الفلسطينية الكبرى ١٩٣٦-١٩٣٩ "بلغ العون اللبناني حداً اضطر السلطات البريطانية الى إقامة حائط اسلاك شائكة على امتداد الحدود الفلسطينية بين الناقورة والمطلة، وكانت قد اتخذت القيادات الفلسطينية لبنان مقراً لها بعد مطاردتها من قبل السلطات البريطانية قبل الحرب العالمية الثانية"[٥٢].

ان من أولى أِشكال الدعم اللبناني الشعبي لثورات فلسطين تشكيل اللجان الشعبية لمراقبة الطرق المؤدية الى فلسطين عبر لبنان، لمحاربة الهجرة اليهودية والحيلولة دون تهريب السلاح والمواد الغذائية

الى المنظمات الصهيونية او المستعمرات الحدودية، كما قرر أهالي صيدا مقاطعة فلسطين اليهودية، وخابرت لجنة المدينة التي تضم الشيخ أحمد عارف الزين ومعروف سعد، اللجنة العربية العليا في فلسطين. بأنها مشاركة لها في الآمها ونقلت اليها خبر القرار في منع مرور الفواكه والخضار، وقد أرسلت اللجنة الفلسطينية كتاباً تشكر فيه الصيادين وتطلب التشدد في ذلك[٥٣].

برز معروف سعد كقائد قومي منذ اقتحم قشلة الدرك في صيدا عام ١٩٣٦ بعد تظاهرة شعبية ضد سياسة القمع البريطانية للانتفاضة الفلسطينية كان الدرك قد قمعها[٥٤] كما نشط سعد في منع تهريب الخضار والمواد الغذائية لليهود وساهم في لجان دعم المجاهدين الفلسطينيين وتنظيم المتطوعين وقام بعمليات عسكرية بالاشتراك مع الشهيد عبد القادر الحسيني في حيفا ومع عبد الرحيم الحاج محمد في مثلث طول كرم وجنين ونابلس، كما انه اتفق مع الحاج امين الحسيني رئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين على ارسال هذا الاخير الاسلحة الى مرفأ صيدا لاستعمالها ضد الصهاينة"[٥٥].

اما في مدينة صور فقد نشطت في عملية تهريب ونقل الاسلحة والذخيرة عبر الحدود اللبنانية والفلسطينية الى المجاهدين اثناء ثورة ١٩٣٦ وبعدها، كما قاموا بالمظاهرات والاضطرابات تضامناً مع جهاد الشعب الفلسطيني، ففي ١١ أيار ١٩٣٦ اضربت مدينة صور واقفلت محلاتها التجارية وسار عدد كبير من الأهالي والطلاب يتقدمهم فعاليات المدينة منادين بعروبة فلسطين ومقدسين بالسياسة البريطانية والحركة الصهيونية[٥٦].

كما التحق متطوعون منهم بالثورة انطلاقاً من روح التضامن العربي، ويؤكد قائمقام صور على هذه التوجه في تقريره "ان الملازم فواد صباغ قائد طاقم صور قد توفق في ضبط بعض الاسلحة والذخائر التي كان يعمل المهربون على نقلها الى منطقة فلسطين اثناء الاضطرابات[٥٧].

كل ذلك جعل سلطات الانتداب تبلغ القائم مقام ان يطلب الى المختارين والهيئات الاختيارية ونواطير القرى في قضاء صور السهر، خصوصاً في القرى الواقعة على الحدود الفلسطينية لأجل القبض على كل شخص غريب مجهول الهوية يدخل المنطقة الفرنسية اللبنانية ويشتبه انه من وراء دخوله القيام بحوادث مخلة بآمن العام، مع تحذيرهم بأن كل تهاون يمثل هذه القضية الهامة يعرضهم للمسؤوليات التي لا طائل تحتها[٥٨].

وهكذا كانت المشاركة الوطنية اللبنانية في الثورة الفلسطينية متعددة الاشكال والاساليب، وقد مارستها القوى الوطنية والقومية على اختلاف مواقعها ودرجات وعيها وتنظيمها في مجرى كفاحها من أجل الاستقلال والعروبة، وتأكد تنظيمها في مجرى كفاحها من أجل الاستقلال العروبة، كما تأكد في هذه المشاركة الشعور القومي وترابط المسألة الوطنية في كل بلد عربي بالمسألة القومية المشتركة بين الشعوب العربية[٥٩].

كان كل حدث اجتماعي لا بد أن يتسع ويستغل لرفع شعار دعم ثورة فلسطين، ففي العام ١٩٣٦ حدثت انتفاضة في مدينة بنت جبيل المحاذية للحدود في وجه شركة الريجي لاحتكار زراعة التبغ في لبنان، ثم ما لبثت أن اتسعت رقعتها وتعددت شعاراتها، الى ان استقطبها جميعاً شعار دعم ثورة فلسطين، وسرعان ما تحولت مدن الجنوب وقراه الى مساندة الثوار بالسلاح والذخيرة والمؤون والرجال[٦٠].

يصف دروزة مؤرخ تلك الفترة من تاريخ القضية الفلسطينية موقف لبنان من ثورة (١٩٣٦-١٩٣٩) "كان موقف الاقطار العربية وخصوصا العراق والشام بما فيها الاردن ولبنان، قوياً كريماً"[٦١].

بعد الجرائم التي اقترفتها القوات البريطانية ضد عرب فلسطين لإرغامهم على القبول بالتهويد تأثر الوطنيون اللبنانيون بتلك البضائع، وقرروا مقاطعة البضائع اليهودية ومنع تصدير الخضار والفاكهة من لبنان الى يهود فلسطين وسلطاتها البريطانية، واتخذت القرار اللجنة العربية العليا واللجان القومية في

فلسطين، لكن بعض التجار والمصدرين في بيروت لم يعبا بقرار المقاطعة فكانوا يحاولون تهريب الخضار والفاكهة في الشاحنات الى اليهود بطرق مختلفة عبر الحدود اللبنانية – الفلسطينية، وكان السماسرة اليهود يؤمنون بيروت للحصول على البضائع التي تنقصهم اثناء المقاطعة الاقتصادية العربية لهم، وتحت عنوان "سماسرة الصهيونية في بيروت لشراء مواعين"، قالت جريدة بيروت: "قام الرجال المخلصون في بيروت يقامون بمختلف الطرق تصدير البضائع الى فلسطين ولحقهم من جراء ذلك أذى، وقد لاقت هذه الحركة نجاحاً في بعض الأوساط التجارية لكن بعض الاخر من التجار ضربوا بالأمن الوطني عرض الحائط، فلم يراعوا شعور إخوانهم الفلسطينيين وحولوا بضائعهم الى الاسكندرون ومن هناك الى تل أبيب وحيفا[٦٢].

يشار الى أن البحارة اللبنانيين في بيروت وطرابلس رفضوا التعامل مع البواخر المتجهة الى موانئ حيفا وتل أبيب، وحسب مجلة اسيا الفرنسية ان الوطنيين اللبنانيين دعموا الانتفاضة المسلحة الفلسطينية بالمظاهرات والاحتجاج والبرقيات من مدن صيدا وطرابلس والنبطية لدى ممثل بريطانيا في بيروت استنكاراً وتضامناً مع الشعب الفلسطيني، وتشكلت في لبنان حركة منظمة بهدف مقاطعة تصدير الغار الى فلسطين وان كثيراً من الشاحنات المحملة بالبضائع اتلفت حمولتها بين بيروت والحدود الفلسطينية رغم مرافقة دوريات قوى الأمن لتوفير الحماية لها[٦٣].

تزعم معروف سعد القوى الجنوبية التي تصدت للمهربين والشاحنات العابرة بين صيدا وصور والنبطية ومرجعيون وتل النحاس، فكانوا ينزلون السائق من الشاحنة ويلقون بالصناديق الملأ بالخضار والفاكهة على الأرض رأسا على عقب ويأمرون السائق بعدها بالعودة من حيث أتى، كما عملت شبكات لبنانية مؤلفة من سائقين وعملاء ومأجورين على تهريب اليهود الى فلسطين من خلال معابر معينة على الحدود، وذلك بدعم ومعرفة بعض الزعماء والموالين لسلطات الانتداب الفرنسي لقاء مبالغ كبيرة من الأموال واستطاع بعض شباب بنت جبيل والقرى المجاورة اكتشاف ذلك التواطؤ وفضحه وكان لعملية تهريب اليهود الى داخل فلسطين الأثر السيء في نفوس الوطنيين وكل العاملين وقتها في سبيل القضية الفلسطينية مما زاد الهوة اتساعاً بين هؤلاء من جهة، وبين الزعماء المتنفذين في المنطقة من جهة اخرى[٦٤].

كانت الوكالة اليهودية قد اتصلت بالحكومة اللبنانية ايان ثورة ١٩٣٦ في فلسطين وشددت على ان المقاطعة تلحق ضرراً بالروابط الاقتصادية القائمة بين لبنان وفلسطين، وأكد التجار أن اقتصاد لبنان يتأثر من جراء المقاطعة وعمد بعضهم الى التحايل على القانون عبر طرق مبتكرة وسرية من خلال التهريب[٦٥].

وفي خضم الثورة الفلسطينية عمدت سلطات الانتداب الى شل المد القومي العربي في جبل عامل وذلك بالتناول عن بعض لأراضي العاملية الى الحركة الصهيونية وتشير مجلة العرفان الى أن شركات فرنسية ساهمت الى حد كبير في بيع أراض في جبل عامل لليهود[٦٦].

شكلت لجنة لجمع التبرعات للثوار الفلسطينيين ولاستمرار المقاطعة بين لبنان وفلسطين[٦٧] ونتيجة للجهود المضنية التي ترتبت على قادة الرأي في جبل عامل لمساندة الانتفاضة الفلسطينية بعثت اللجنة العربية العليا في القدس برسالة الى بعضهم في ٨ حزيران ١٩٣٦ تشكرهم على جهودهم وشعورهم وعواطفهم تجاه قضية فلسطين[٦٨].

واستنكار لتصرفات سلطات الانتداب الفرنسي بتسهيل مرور التموين عبر الاراضي اللبنانية للمستعمرات اليهودية في فلسطين، قامت تظاهرة في صيدا بتاريخ ١٢ تموز١٩٣٦ دعماً للثورة الفلسطينية واجهتها سلطات الانتداب بإطلاق النار فوقع عدد من القتلى والجرحى منهم معروف سعد

جريحاً، ولم يكن ما جرى ليثني الوطنيين عن اظهار استنكارهم عبر المشاركة الحاشدة في تشييع أحد ضحايا المظاهرة الشهيد محمد مرعي النعماني، ولهذه الغاية كانت الوفود من بيروت وطرابلس والنبطية وصور ومرجعيون الى صيدا وقد ضمت النخب من الشباب الوطني[٦٩].

ج- الموقف الشعبي اللبناني من التطورات السياسية في فلسطين (١٩٣٧-١٩٤٥):

عندما نشطت مشاريع تقسيم فلسطين في الثلاثينات، كان منها المشروع البريطاني الذي دعا في نيسان ١٩٣٦ الى تقسيم فلسطين الى كانتونين تقوم في الاخصب دولة يهودية ويضم الأخر الى شرق الاردن[٧٠]، وكانت ردة الفعل لهذه المساعي ثورة استمرت ثلاث سنوات أثبتت ان العرب لا يقبلون بما هو أهل من حرية البلاد الكاملة، وكتبت الصحف اللبنانية عام ١٩٣٧ مقالات تستنكر مشروع التقسيم وأرسلت هيئات لبنانية عديدة برقيات استنكار لهذا المشروع الى اللجنة العربية العليا الفلسطينية وشاركت المدن اللبنانية في اضراب عام، ودعت الهيئات الوطنية في بيروت الى اجتماع قررت فيه استنكار التقسيم ورفضه وتأييد اللجنة العربية العليا الفلسطينية[٧١].

عند مجيء الحاج أمين الحسيني رئيس اللجنة العربية العليا الى لبنان في الاسبوع الأول من تشرين الأول عام ١٩٣٧ بعد التضييق عليه من سلطات الانتداب البريطاني سمحت له السلطات الفرنسية باللجوء الى بيروت والاقامة فيها ثم في جونية تحت رقابتها وقد كرمة اللبنانيون باعتباره رمزاً لفلسطين المجاهدة[٧٢].

بانتقال الحاج أمين الى بيروت مع بعض قادة الثورة الفلسطينية أصبح لبنان مركزاً لتموين الثورة إداراتها وتوجيهها فضلاً عما قام به من نشاط كبير في سبيل جمع التبرعات وتنظيم مواردها كما التحق بالثورة العدد من اللبنانيين[٧٣] وقد حاولت لسلطات الفرنسية فيما بعد تسليم الحاج أمين الى السلطات البريطانية فقامت تظاهرات كبيرة في لبنان أفشلت هذه المحاولة[٧٤].

لم يترك الوطنيون اللبنانيون فرصة لدعم الثورة الفلسطينية إلا وشاركوا فيها نظراً لتحسسهم بهذا الخطر الذي يهدد أماكنكم المقدسة وبالتالي وجودهم القومي العربي، فبين ٨ و١٠ أيلول ١٩٣٧ عقد مؤتمر لدعم الانتفاضة المسلحة الفلسطينية في بلودان (سوريا) شارك فيه عدد من كبير من قادة العرب: ٧٥ سورياً و ٦٠ لبنانياً و ٣٥ أذرياً و ١١٩ فلسطينياً و ٣ عراقيين و ٤ مصريين وحجازي واحد[٧٥]. وذلك للبحث في الواجبات المترتبة على العرب في مختلف أقطارهم لمقاومة أخطار الصهيونية التي تهددهم، وصدرت عن المؤتمر قرارات أهمها:

- رفض تقسيم فلسطين وإنشاء دولة يهودية فيها.

- تأييد وقف الهجرة اليهودية الى فلسطين وإصدار تشريع بمنع انتقال الأراضي من العرب لليهود.

- التأكيد على أن فلسطين جزء لا يتجزأ من الاقطار العربية[٧٦].

"وايقن المجتمعون أن العمل السياسي فاشل لا محالة اذا لم تدعمه قوة السلاح، وأنن النضال المسلح يجب ان يبداه شعب فلسطين وعلى ارض فلسطين، وان اللجنة العربية العليا تقاد ولا تقود، مدفوعة وغير دافعة، ولا بد أن تضع امام الامر الواقع لتخرج من المكاتب والدوائر الى الميدان"[٧٧][٧٨].

وتعبيراً عن دعم اللبنانيين للشعب الفلسطيني بعد ثورة ١٩٣٦ ضد الصهاينة والبريطانيين، دعت بعض القوى اللبنانية في بيروت وصيدا وطرابلس الى الغاء الاحتفالات الدينية، وصدر بيان في طرابلس، قرر الشباب الوطني الغاء الاحتفالات المعتادة ومنع اقامة الزينات، وجعل يوم العيد يوم فلسطين لجمع الاعانات لإخواننا عرب سورية الجنوبية مؤاساة لهم في مصابهم "وفي بيروت تقدمت جمعية اتحاد الشبيبة الاسلامية باقتراح "دعت فيه المسلمين الى الغاء احتفالات المولد النبوي واقتصارها على تلاوة السيرة النبوية وترجو حداداً على شهداء فلسطين ان يمتنع الاهلون عن استعمال الزينات

والفراقيع والأسهم النارية وان يرصد ريع ذلك للمحتاجين واخواننا الفلسطينيين المنكوبين في سوريا الجنوبية[٧٩].

ودعمت القوى اللبنانية المقاومة الفلسطينية التي اتخذت مع الثوار الجنوبيين اللبنانيين الحدود اللبنانية منطلقاً للعمل الثوري المعادي للبريطانيين والصهيونيين وملاذا لهم بعد الانسحاب من كل عملية ففي اشتباك حدث بين الثورة وقوة من الجيش البريطاني على الحدود اللبنانية في كانون الأول ١٩٣٧، قتل فيه بعض الجنود البريطانيين بينما انسحب الثوار ومعهم جريحان الى قرية ياردين اللبنانية الجنوبية".

وفي صيدا أعربت القوى الوطنية والاسلامية عن تأييدها الكامل لقضية فلسطين واعلنت استعدادها للسير مع العالم العربي في أية تضحية لإنقاذ فلسطين، جاء ذلك في برقية ارسلت الى قنصل بريطانيا في بيروت بتاريخ ١٢ ايار ١٩٣٧ وقد ورد فيها "ان الأمل بأن تكف بريطانيا عن تأييد أكبر جريمة قومية عرفها التاريخ لي يحل الحق والسلام محل القتال والخراب في بلد صاحب رسالة الاسلام[٨٠].

في ٢٤ أيار ١٩٣٨، اهتم الاتحاد النسائي العربي في بيروت بالقضية الفلسطينية، من خلال الرسائل المتبادلة بين الاتحاد النسائي العربي والاتحاد النسائي الدولي واللجنة الدولية للسلام التي قررت في أوائل كانون الثاني محاربة اليابان انتصاراً للصين المغتصبة واستصرخت الحكومات والمؤسسات الرسمية مقاطعة البضائع اليابانية: "نريد أن نرفع اصواتنا مرفوقة بأصواتكن دفاعاً عن عرب فلسطين واحتجاجاً على اعمال الشدة والبطش والارهاب التي تسير بها الحكومة البريطانية متمسكة بالسياسة الصهيونية الفاسدة التي لا رائد لها الا إخماد صوت عرب فلسطين والقضاء عليهم، وكما عملتن جهدكن لنشر الدعايات ضد اليابان، اعملن الان وخلصن الألوف من الامهات والاخوات والأزواج في فلسطين برهاناً على روح العدل والمساواة ونصرة الضعيف"[٨١].

ورد عن الاتحاد النسائي العربي حسب أمينة سر الاتحاد النسائي الدولي: "لقد اتخذنا الاهتمام الكافي برسالتكن وقدمناها الى لجنة الانتدابات في عصبة الأمم التي أفادت ان رئيسها لا يمكنه اتخاذ أية اجراءات قانونية بما يتعلق بعريضتكم المذكورة"[٨٢]. كما ورد من اللجنة الدولية للسلام ان الطلب الذي رفعة الاتحاد النسائي العربي مشكلة صعبة الحل وأننا لا نستطيع التدخل في مسألة فلسطين مطلقاً لان قانوننا الاساسي يمنعنا منعاً باتاً من التدخل في الشؤون الداخلية لأي بلد من البلدان (هذا لم يمنعهن من التدخل في شؤون اليابان) ونحن آسفين لعدم استطاعتنا أجابه الطلب[٨٣].

لابد من الإشارة الى مشاركة السيدات اللبنانيات في المؤتمر النسائي العربي الذي عقد في القاهرة في ١٢ تشرين الأول ١٩٣٨، ونتج عنه إرسال وفد عربي إلى امريكا الشمالية الجنوبية لجمع التبرعات واطلاع السلطات الامريكية على وجهة النظر العربية، وبهذه المناسبة كتب الأمير شكيب ارسلان مقالاً في جنيف أرسله الى صحيفة "البيان "في نيويورك بعنوان فلسطينكم من قتل وتدمير وانتقد خذلان العرب بعضهم لبعض واقتصارهم على اعانات مالية ضئيلة لا تغني ولا تسمن من جوع وعلى مظاهرات في الشوارع ذهبت هيبتها من القلوب لعدم اقترانها بالأفعال، ويضيف أنه لا خوف من زحف العرب لنجدة فلسطين بالمئات والألوف ما داموا جواسيس لبريطانيا وما دامت تقبض على معظم حكوماتهم، وانه لا أمل ان تعود بريطانيا عن مشروعها بتهويد فلسطين ودفعها الى صدر العرب لتمنه وحدتهم وتفسد اخلاقهم بدسائسها وأموالها"[٨٤].

ولما طلب الوفد العربي إلى امريكا من البطريرك الماروني وبطريرك الروم الكاثوليك إرسال بيان التأييد للقضية الفلسطينية بهدف جمع التبرعات رفض ذلك بحجة عدم استئذانه البابا في روما، علما

ان المطران الكاثوليكي غريغوريوس حجار وجه نداء الى المهاجرين العرب في أمريكا الشمالية حثهم فيه على دعم القضية الفلسطينية دون ان يقدم ذرائع ومبررات او ان يستأذن البابا وهو كاثوليكي يتبع البابا مباشرة في روما، ومن جهة أخرى نشطت القوى الوطنية والاسلامية في حملة توعية ودعم للدفاع عن فلسطين وشعبها العربي ضد اليهود والانتداب البريطاني فتحركت القوة اللبنانية والحزبية والسياسية والثقافية والنقابية، وان اختلفت اتجاهاتها حول سياسة لبنان الداخلية باتجاه العمل في تجمع سياسي واحد لتبيان مخاطر اليهود على وحدة الأراضي اللبنانية ومكافحة الصهيونية، ومع ان المراقبين راهنوا على ان أحداث فلسطين في العام ١٩٣٦ وما بعده، لن تؤثر كثيراً على لبنان لاعتقادهم ان اهتمام اللبنانيين في فلسطين ذا طابع تجاري وليس سياسي، لكن القنصل البريطاني في بيروت فورلنغ (Furlong) أكد تزايد العداء اللفظي للبريطانيين والصهاينة، وان تغيرات لافتة للنظر طرأت على الوضع عام ١٩٣٨ وقد تراجع حجم التجارة بين لبنان وفلسطين الى حد بعيد لأن وجود لاجئين من الشخصيات الفلسطينية أثر في الرأي العام ضد البريطانيين واليهود معاً، لكنه لم يكن هناك اجماع على رأس معين في لبنان، ففي حين كان المسيحيون منزعجين من الصعوبات التجارية، لكنهم تأثروا بما يسمعونه ويقرأونه عن فلسطين ولو أنه لا تربطهم بهؤلاء روابط عرقية او دينية الا أنهم بدأوا يشعرون ان شعباً مجاوراً يتعرض لظلم كبير(٨٥).

ومما يذكر انه في أواخر ذلك العام ١٩٣٨ ظهرت ميول مسيحية نحو العروبة وذلك بسبب نجاح الثوار الفلسطينيين ضد الإنكليز وفعالية الدعاية العربية الفلسطينية.

في هذه الفترة الحرجة من تاريخ فلسطين، وقف الشعب اللبناني والسوري موقفاً مؤيداً لعرب فلسطين مادياً ومعنوياً وعسكرياً، مما دفع القائد الفلسطيني سعيد أبو درة القائد العام لجيش الثورة في فلسطين الى توجيه بيان شكر للأهالي وفي مقدمتهم سكان الجنوب اللبناني وسوريا على مساندتهم للشعب الفلسطيني، وقد جاء في البيان الصادر في ٧ آذار ١٩٣٩ تحية الإسلام والعروبة أهديها الى اخواني سان سوريا ولبنان الكرام، وذلك لموقفهم النبيل تجاه إخوانهم في الدين والرابطة القومية العربية، أهالي فلسطين وتجاه الحاج امين الحسيني، ولا عجب ولا غرابة فإن اخواتهم الاسلام.... جعلت إخواننا سكان سوريا ولبنان وخصوصا أهالي بيروت يبذلون الجهد في مساعدة إخوانهم في الدين والعروبة"(٨٦).

في ١٤ أب ١٩٤٤ تداعت القوى السياسية اللبنانية لتأسيس اتحاد الاحزاب اللبنانية لمكافحة الصهيونية وشارك في عضويته عصبة العمل القومي، عصبة مكافحة النازية والفاشية، الحزب الشيوعي اللبناني، اتحاد الشبيبة الإسلامي، منظمة الكتائب منظمة الطلائع منظمة النجادة، المؤتمر القومي، الاتحاد القومي، منظمة الغساسنة، اتحاد نقابات العمل والصحافة اللبنانية واتفق على ان يكون رئيس الاتحاد محمد جميل بيهم، كما تحرك الاتحاد بهدف توجيه اللبنانيين حول سياسة وطنية واحدة، لدعم قضية فلسطين، وكان طلاب بيروت قد أصدروا بياناً لنصرة فلسطين(٨٧)، ولم يكن النفوذ اليهودي بسيطاً فقد انه يدعم بحرية وظهر ذلك من خلال المؤسسات الاجتماعية والعلمية اليهودية التي كانت تقدم المساعدات المالية للعائلات اليهودية بشكل سري وكانت هذه المؤسسات تلقي الدعم من الدولة اللبنانية.

وبينما كان الدول العربية منهكة بالشائعات والتصريحات المحلية والدولية بشأن القضية كثف اليهود جهودهم لتحقيق أهدافهم في فلسطين مما دفع اتحاد الأحزاب اللبنانية لمكافحة الصهيونية الى توجيه رسائل في ٢٣ نيسان ١٩٤٥ الى الهيئات العربية تضمنت اقتراحاً بعقد مؤتمر عربي، لكن الاقتراح لم يلق التجاوب من الرسميين العرب الذين اتفقوا باجتماعاتهم العادية التي كانت تعقد في إطار الجامعة العربية، أيام فؤاد أباظة الذي كان رئيساً للاتحاد العربي في مصر، وفي هذه الأوقات العصبية تابع اللبنانيون اهتمامهم بالقضية الفلسطينية لا سيما حين وصلت انباء تفيد عن اعتقال الحاج أمين

الحسيني مفتي فلسطين من قبل السلطات البريطانية مما دعا العديد من الشخصيات السياسية اللبنانية الرسمية والشعبية والصحافية الى توجيه مذكرة الى عبد الحميد كرامي رئيس الوزراء اللبناني في ٢٥ ايار ١٩٤٥ يطلبون فيها العمل على الإفراج عن الحسيني، وواصلت الدبلوماسية اللبنانية تحركها وإظهار تأييدها للقضية الفلسطينية وتجلى ذلك في اجتماع عقد في لندن في ٢٧ حزيران شارك فيه وزير سوريا المفوض نجيب الارمنازي والسيد رونالد ستورز واللادي شالمندلاي عن الجانب البريطاني وكميل شمعون الذي ذكر ان بريطانيا قد ارتكبت الخطأ الأصلي بتوطيدها للصهيونية في فلسطين وعليها ان تصلح هذا الخطأ[٨٨].

وعلى صعيد آخر، كانت عمليات التهريب تدار من قلب بيروت في فندق وادي أبو جميل للسميرة لدخول اليهود، وكانت بنت جبيل والنبطية الاكثر تضرراً وتعرضاً لضرر فأعلنتا الاضطراب وحضر وفد من البلدتين الى بيروت لنقل المعلومات ويذكر السيد حسن الامين انه أثناء توليه القضاء في حبل عامل، قبض على قافلة كبيرة من اليهود المهربين الى فلسطين عان ١٩٤٢ وذلك ان الانكليز وضعوا قانوناً يجيز الهجرة اليهودية الى فلسطين بإعداد معينة تتجاوز عشرات الألوف، لكن الصهاينة كانوا يدخلون اضعاف العدد المقرر بتهريبهم عبر الحدود البرية[٨٩].

تفاعلت هذه الظاهرة في البلاد العربية وخاصة في سوريا حيث تحرك اليهود بدءاً من العام ١٩٤٥ للفرار من دمشق وحلب قاصدين عبر قرى مرجعيون وبنت جبيل والمطلة مما استدعى اجراء اتصالات بين مصر والعراق وفلسطين وبين لبنان وسوريا وقد اتفقت هذه الدول على التشدد في تعزيز نقاط الحدود مع فلسطين منعاً لتهريب اليهود[٩٠].

وفي ١٣و١٤ تشرين الاول ١٩٤٥ ارسل بعض اهالي صور بياناً طالبوا فيه الحكومة اللبنانية بالتحقيق السريع حول تهريب الاسلحة الى اليهود وبيع الأراضي ولا سيما اراضي بلدة المنارة الواقعة الى جانب بلدة حولا اللبنانية، ووضع حد لمحاولة بيع أراضي قريتي بليدا وقدس من قبل زعامة اقطاعية[٩١].

وبينما كانت جامعة الدول العربية تتخذ قراراً بدعم القضية الفلسطينية ووضع مذكرة لتقديمها الى الحكومتين الاميركية والبريطانية للفت نظرهما الى خطورة استمرار الهجرة اليهودية الى فلسطين، دعا اتحاد الاحزاب اللبنانية بمناسبة اقتراب ذكرى وعد بلفور الى عقد اجتماع حضره رئيس حزب الاصلاح الفلسطيني حسيب الخالدي تقرر فيه: اقامة مهرجان خطابي يعقبه اضراب عام في بيروت وتظاهرات شعبية احتجاجية تسير حتى المجلس النيابي، وبالفعل سارت في ٢ تشرين الثاني ١٩٤٥ جماهير الاتحاد يتقدمهم قادتهم حاملين صور رئيس الجمهورية اللبنانية والحاج امين الحسيني ورفع المتظاهرون مطالبهم الى الجهات الرسمية اللبنانية وضمنوها وقف الهجرة اليهودية، منع بيع الاراضي في جميع مناطق فلسطين، وتجريد المستعمرات اليهودية من اسلحتها واعادة المبعدين والمنفيين وفي مقدمتهم الحاج امين الحسيني[٩٢]، وفي هذه المناسبة أصدر الحزبان الشيوعيان السوري واللبناني بياناً اعلنا فيه موقفهما المتضامن مع شعب فلسطين في مقاومة الاستعمار[٩٣].

وقدم وزراء الدول العربية في سوريا ولبنان ومصر والعراق مذكرة رسمية الى وزير الخارجية البريطاني ضمنوها وجهة نظر العرب بالنسبة لقضية فلسطين.

ومما يلفت النظر أن اليهود اللبنانيين تخوفوا واستنكروا في ذكرى بلفور في ٢ تشرين الثاني ١٩٤٥ النشاط الصهيوني في فلسطين وعبر المجلس الملي اليهودي عن ولائه للبنان واستنكاره للصهيونية[٩٤].

ولا بد من الاشارة الى ان الشعب في الجنوب اللبناني قد تعاطف مع القضية الفلسطينية وكان الاكثر حماساً لها، ويروي رئيس الجمهورية الأسبق الشيخ (بشارة الخوري) انه أراد في احدى جولاته في القرى اللبنانية سنة ١٩٤٥ ان يستقي اللبنانيين في قضية فلسطين وسياستنا فيها، وقال حينذاك "ان الصهيونية فكرة تحكم واستعمار وسيطرة سياسية لا علاقة لها بالدين قط، وانه ليس من العدل ان يؤتي من مشارق الارض ومغاربها بأناس لا يربطهم بنا أي نسب ليكونوا أكثرية مصطنعة[٩٥]. ويضيف الرئيس انه "ما إن القيت هذه العبارة حتى شق التصفيق والهتاف عنان الجو.. ولم يكن لذلك ادنى استعداد او تهيئة"[٩٦] ويستطرد الرئيس الخوري قائلاً "وهكذا كان اول صوت رسمي لرئيس دولة عربية ارتفع للذود عن فلسطين وفرق بين اليهودية والصهيونية هو صوت رئيس جمهورية لبنان[٩٧].

ومن الطبيعي ان تكون المواقف الشعبية اللبنانية وخاصة سكان الجنوب مؤيدة للفلسطينيين فهم أخوة وجيران وتربطهم علاقات اجتماعية واقتصادية.

استمرت الحالة الترابطية بين الشعبين اللبناني والفلسطيني حتى اعلنت اسرائيل قيام دولتها المزعومة رسمياً عام ١٩٤٨، حيث اختلف بينهما الاواصر واصبح وجود حاجز بشري غريب من نوعه حقيقة لا مفر منها، تفصل الشعبين وتولد الحروب التي لم تنتهي الى يومنا هذا.

الخاتمة

حتماً ان لبنان البلد العربي الاكثر تبايناً من بين البلدان العربية الاخرى في مسألة الموقف من الاستيطان الصهيوني على الاراضي الفلسطينية، وكما ذكرنا ان النخب الفكرية المؤيدة والمعارضة كانت صاحبة تأثير قوي على طبيعة العلاقات اللبنانية- الفلسطينية وانها ولدت بذور الشقاق بين ابناء البلد الواحد افضت الى نتائج مدمرة على الشعبين عندما حصلت الحرب الاهلية اللبنانية، وكانت الاسباب هي الوجود الفلسطيني على الارض اللبنانية وتمركز واستيطان للكيان الصهيوني.

وختاماً لا بد من التأكيد على أن المستوطنات التي أقيمت فوق الأرض الفلسطينية استولت على الميـاه والموارد الطبيعية والأرض، وقطعت القرى الفلسطينية عن المدن، وفصلت الاتصال العمراني بين المناطق الفلسطينية، كما أثرت على الاقتصاد الفلسطيني بأن جعلت العمال الفلسطينيين يعملون في البناء والزراعة داخل المستوطنات مما جعل مصدر الرزق الوحيد العمل داخلها، وساهمت المستوطنات في إبقاء الفلسطينيين بلا بُنية تحتية وتحت رحمة "إسرائيل".

الهوامش:

(١) ينظر: ماهر أحمد آغا، اليهود فتنة التاريخ، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٢، ص٢٣٤.
(٢) راجع: الموقع الالكتروني (مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية) على شبكة الانترنت.
(٣) موجات الغزو الصهيوني ١٨٨٢-١٩٩٠، أسعد عبد الرحمن ونواف الزرو، دار اللوتس، عمان، ١٩٩٠، ص٣.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) غازي حسين، الاستيطان اليهودي في فلسطين من الاستعمار إلى الإمبريالية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣، ص٢٠.
(٦) شاهين مكاريوس: ولد عام ١٨٥٣ في بلدة إبل السقي (مرجعيون - جنوبي لبنان)، ومات في حلوان ودفن في القاهرة سنة ١٩١٠، كان إلى جانب يعقوب صروف و فارس نمر، من مؤسسي جريدة المقطم، امتهن الصحافة وهو مؤرخ وشاعر ومن آثاره: «تاريخ إيران» - ١٨٩٠، «السمير في السفر والأنيس في الحضر» - ١٨٩٥، «الحقائق الأصلية في تاريخ الماسونية العلمية» - ١٨٩٧، «تاريخ الإسرائيليين» - ١٩٠٤.
راجع: الموسوعة العالمية على شبكة الانترنت. https://ar.wikipedia.org

(٧) شاهين مكاريوس، تاريخ الإسرائيليين، مصر، ١٩٠٤، ص٢٠٣.
(8)Kassab Farid، La nouvelle empire arabe la curie et le pretend peril juif universel, Reponse a Najib Azouri, Paris , 1906, P.8 .
(٩) خليل أبو رجيلي، غريغوريوس الحجار، حقبة من النضال الفلسطيني ١٩١٧-١٩٤٠، بيروت، ١٩٧٠، ص٢٨.
(١٠) المصدر نفسه، ص٣٤.
(١١) المصدر نفسه، ص٣٥.
(١٢) المصدر نفسه، ص٤٢.
(١٣) بيان المطران غريغوريوس الحجار عن حالة فلسطين أمام اعضاء اللجنة الملكية البريطانية، مطبعة الجميل – حيفا، نقلاً عن: خليل أبو رجيلي، المصدر السابق، ص٤٤.
(١٤) غرانوث، نظام الأراضي في فلسطين، بالإنكليزية، طبعة لندن، ١٩٥٢، ص٢١٣.
(١٥) س. و بارون تاريخ إسرائيل (بالفرنسية) نقلاً عن: أبو رجيلي، المصدر السابق، ص٤٤.
(١٦) الياهو غرانت، حاضر فلسطين (فلسطين اليوم)، تعريب منير بعلبكي، لندن، ١٩٥٢، ص١٤-١٥.
(١٧) ميلر بوردو، اسرائيل جريمتنا، (د. م)، (د.ت)، ص ٢٨.
(١٨) الياهو غرانت، المصدر السابق، ص٣٠-٣١.
(١٩) خليل أبو رجيلي، المصدر السابق، ص٤٤.
(٢٠)المصدر نفسه، ص٤٨.
(٢١) الشيخ يوسف الخازن، الدولة اليهودية في فلسطين، تقديم وتعريب د. غسان الخازن، شركة الطبع والتوزيع اللبنانية، بيروت، ١٩٨٧، ص ص٢٠- ٢١.
(٢٢) نقلا عن كتاب القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني، وزارة الدفاع الوطني، الاركان العامة، الشعبة الخامسة، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط١، بيروت، ١٩٧٣، ص٥٤٣؛
Esco Foundation for Palestine، A study of jeuich Arab and British policiers , P.552.
(23) Amin Rihani، The fate of Palestine , A series of lectures , Articles and documents about the Palestinian problem and Zionism (Beirut) Rihani printing and publishing House 1967,P،25.

(٢٤) أمين الريحاني، محاضرة سنة ١٩٧٣ – القوميات، ج٢، بيروت دار الريحاني للطباعة والنشر ١٩٥٦، ص٧٢.
(٢٥) المصدر نفسه، ص٧٥.
(٢٦) المصدر نفسه، ص١٤٨.
(٢٧) نجيب عازوري، يقظة الامة العربية، ترجمة احمد بو ملحم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٨، ص٤١.
(٢٨) المصدر نفسه، ص٤٩.
(٢٩) ميشال شيحا، فلسطين، ترجمة أنطون غطاس كرم، منشورات مؤسسة شيحا، بيروت، ١٩٤٤، ص٦٨.
(٣٠) المصدر نفسه، ٢٨ أيار ١٩٤٨ ص١٠٠-١٠٢.
(٣١) المصدر نفسه، ١٠ كانون الثاني ١٩٥٢، ص١٨٢.
(٣٢) المصدر نفسه، ١٤ آب ١٩٥١، ص١٦٤.
(٣٣) المصدر نفسه، ٢٨ تشرين الثاني ١٩٥٢، ص١٧٨.
(٣٤) المصدر نفسة، ٩ تشرين الأول ١٩٤٦، ص٣٠.
(٣٥) المصدر نفسة، ١٧ تشرين الأول ١٩٤٧، ص٥٩.
(٣٦) المصدر نفسه، ٢٥ تشرين الاول ١٩٤٨، ص١٣١.
(٣٧) المصدر نفسه، ٧ تموز ١٩٤٨، ص١١٠.
(٣٨) مسعود ضاهر، صفحات من تاريخ جبل عامل، منشورات المجلس الثقافي اللبناني الجنوبي، بيروت، ١٩٧٩، ص١١٥.
(٣٩) كريم مروة، المقاومة، دار الفارابي، بيروت، ١٩٨٥، ص١٨٦.
(٤٠) عزت طنوس، الفلسطينيون (ماض مجيد ومستقبل باهر)، بيروت، ١٩٨٢، ص١٩٥.
(٤١) فايز شعيب، مواقف القوى اللبنانية من القضية الفلسطينية ١٩١٨-١٩٤٨، رسالة دبلوم دراسات عليا، كلية الآداب الجامعة اللبنانية، ١٩٩٢، ص٤٩.
(٤٢) مصطفى بزي، جبل عامل في محطة العربي ١٨٦٤-١٩٤٨، مركز الدراسات والتوثيق والنشر، ط١، بيروت، ١٩٩٣، ص٤٦٧.
(٤٣) عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ط٩، بيروت، ١٩٨٥، ص٢٦٥.
(٤٤) روز ماري صايغ، الفلاحون الفلسطينيون من الاقتلاع الى الثورة، ترجمة خالد عايد، بيروت، ١٩٨٠، ص٨٧.
(٤٥) يصف عزت طنوس صعوبة تحرك عائلته قائلاً، كانت أمي واخي وعائلته وزوجتي وطفلاي مازالوا في القدس لا يستطيعون التجول فيها دون مواجهة الخطر وكان السفر محفوفا بالمخاطر في فلسطين ولا يستطيع أحد الخروج دون إذن من السلطات العسكرية التي حلت محل الإدارة المحلية. طنوس، المصدر السابق، ص١٩٥.
(٤٦) المصدر نفسه.
(٤٧) كريم مروة، المقاومة، دار الفارابي، بيروت، ١٩٨٥، ص١٨٧.
(٤٨) نجيب صدقة، فلسطين عام ١٩٤٦، (د. ت)، (د. م)، ص١٨٥.
(٤٩) كريم مروة، المصدر السابق، ص١٨٩.
(٥٠) مصطفى بزي، المصدر السابق، ص٣٦٨.
(٥١) المصدر نفسه، ص٤٦٧.
(٥٢) سلسة الوثائق الأساسية للأزمة اللبنانية ١٩٧٥، ص١١٠ من بيان لياسر عرفات حول أحداث لبنان.
(٥٣) شفيق الأرناؤوط، معروف سعد نضال وثورة، المؤسسة الوطنية للنشر والخدمات، ط١، بيروت، ١٩٨١، ص٨٥.

(٥٤) المصدر نفسه، ص٧٧.
(٥٥) المصدر نفسه، ص١٠٠-١٠١.
(٥٦) حسين ذياب، تاريخ صور الاجتماعية ١٩٢٠ -١٩٤٣، بيروت، ١٩٨٨، ص١٦٢.
(٥٧) المصدر نفسه، ص١٦١.
(٥٨) المصدر نفسه.
(٥٩) حبيب صادق، مقاربات ومشادات في المشروع الصهيوني وطرق مقاومته، ط١، بيروت، ١٩٩١، ص٨١.
(٦٠) مسعود ضاهر، صفحات من تاريخ جبل عامل، منشورات المجلس الثقافي اللبناني الجنوبي، بيروت، ١٩٧٩، ص١١٥.
(٦١) محمد عزة دروزة، حول الحركة العربية، ج٣، منشورات المكتبة العرية، بيروت، ١٩٥٠، ص١٣٦.
(٦٢) جريدة بيروت، ١٧ تموز ١٩٣٦.
(63) Revue Asie Francaise, Paris, 1936, P.193.
(٦٤) مصطفى بزي، المصدر السابق، ص٣٧٥.
(٦٥) لورا ايزنبرغ، عدو عدوي (لبنان في التصورات الصهيونية المبكرة ١٩٠٠-١٩٤٨، ترجمة رضا سليمان، ط٢، بيروت، ١٩٩٧، ص ٢١٩.
(٦٦) مجلة العرفان، مجلد ٨، ج١، أذار ١٩٣٨، ص٩٨.
(٦٧) أعضاء اللجنة هم: توفيق الجوهري، معروف سعد، احمد عارف الزين، بدوي النابلسي، عبدالله البزري، حسني الصباغ.
(٦٨) وثيقة رقم ٤ نقلاً عن: علي شعيب، مطالب جبل عامل في الوحدة والمساواة في لبنان الكبير ١٩٠٠-١٩٣٦، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، بيروت، ١٩٨٧، ص١٨٤.
(٦٩) شفيق الأرناؤوط، المصدر السابق، ص٧٨.
(٧٠) أنيس صايغ، الهاشميون وقضية فلسطين، منشورات جريدة المحرر، بيروت، ١٩٦٦، ص١٣٣.
(٧١) محمد عزة دروزة، حول الحركة العربية الحديثة، المكتبة العصرية، ج٣، بيروت، ١٩٥٠، ص١٦٧.
(٧٢) المصدر نفسه، ص١٨٩.
(٧٣) المصدر نفسه، ص٢٢٢.
(٧٤) عبد الرحمن بكداش، أيام من الحياة، دار معجم متن اللغة، بيروت، ١٩٦٣، ص ص٥٨-٦٠.
(75) Revue Politiue et parlementaire , le 10 Dec.1937, Paris , P.391 .
(٧٦) أنظر مؤتمر بلودان، عدد خاص في مجلة الجزيرة بدمشق ٥ أيلول ١٩٣٧ حضر المؤتمر عن جنوب لبنان، محمد المجدوب، معروف سعد، شريف الأنصاري، بهيج الجواهري، الفرد ابو سمرا، سليمان ضاهر، أحمد رضا توفيق الجواهري، حسن الأمين، موسى شرارة، ومما يذكر أن الفرد أبو سمرا فتح صفحات جريدته بـ "القلم الصريح لمتابعة انباء الثورة الفلسطينية".
(٧٧) أحمد الشقيري، أربعون عاما في الحياة العربية والدولية، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٦٩، ص١٧١.
(٧٨) ويظهر التآمر على قضية فلسطين حتى من العرب انفسهم، فعندما جاء الحاج أمين الحسيني يعزي أحمد الشقيري باستشهاد اخيه د. انور قال له الشقيري "اخي شهيد ولكن أخشى على الثورة ان تصبح شهيدة وينتهي اجلها" وكان في بيته احد السفراء لدولة صديقة فقال للحاج امين عبارة خالدة، ان العرب واليهود والانكليز قد اختلفوا في كل شيء الا في أمر واحد قد اتفقوا عليه وهو قتل العربي، فالإنكليز يقتلون العربي واليهود يقتلون العربي والعربي يقتل العربي، نقلاً عن: أحمد الشقيري، المصدر السابق، ص١٨٨.

(٧٩) حسان حلاق، موقف لبنان من القضية الفلسطينية ١٩١٨-١٩٥٢، مركز الابحاث الفلسطينية، بيروت، ١٩٨٢، ص٧.
(٨٠) حسان حلاق، المصدر السابق، ص٨. نقلاً عن: وثائق الهيئة العربية العليا (أوراق عزو دروزة) ملف ب١/٧١١١ وثيقة رقم (٣١) وقد وقع البريقة اعضاء صيداوية وجنوبية منهم، معروف سعد، عادل عسيران، علي البزري، أحمد عارق الزين، فؤاد زنتوت، شفيق أبو ظهر، عبدالهادي الصلح، محمد المجذوب.
(٨١) عزة دروزة، يوميات أكرم زعيتر الحركة الوطنية الفلسطينية، ١٩٣٥ – ١٩٣٩، ط٢، بيروت، ١٩٩٢، ص٣٩٣.
(٨٢)المصدر اعلاه، ص٣٩٤.
(٨٣)المصدر نفسه، ص٣٩٤.
(٨٤) الأمير شكيب ارسلان، فلسطينكم أيها العرب، نقلا عن: صحيفة البيان، نيويورك ٨ تشرين الثاني ١٩٣٨.
(٨٥) لورا ايزنبرغ، المصدر السابق، ص٢٢١.
(٨٦) عزة دروزة، من اوراق أكرم زعيتر، وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩١٨-١٩٣٩، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط١، بيروت، ١٩٨٤، ص٦٣٦.
(٨٧) جريدة صوت الشعب، ٥ تشرين الثاني ١٩٤٤؛جريدة السفير، ١٨ كانون الثاني ١٩٨٨.
(٨٨) حسان حلاق، التيارات السياسية في لبنان ١٩٤٣-١٩٥٢، الدار الجامعية، بيروت، ١٩٨٨، ص٤٣٦.
(٨٩) استقال من القضاء في تلك الفترة لأنه صمم على مقاومة التهريب، والسبب في استقالة هو القائه القبض على قافلة يهودية كانت تجتاز النبطية الى داخل فلسطين وحكمة بالسجن على عناصرها، ثم تبرئتهم من قبل قضاء اخرين بعد استئناف الحكم.
(٩٠) ينظر: حسان حلاق، المصدر السابق، ص٥٩ و ص ص٩٨-٩٩.
(٩١) جريدة النهار، ١٣و١٤ تشرين الأول ١٩٤٥.
(٩٢) حسان حلاق، المصدر السابق، ص١١١.
(٩٣) تقرير اللجنة المركزية أمام المؤتمر الثاني للحزب، ص١٤٨؛ جريدة صوت الشعب ٥ تشرين الثاني ١٩٤٥؛ جريدة النهار ٢و٣ تشرين الثاني ١٩٤٥.
(٩٤) علي ابراهيم عبده، خيرية قاسميه (يهود البلاد العربية)، بيروت، ١٩٧١، ص١٢٣.
(95) Revue Asie Francaise Kuin , Paris, 1936, P. 193.
(٩٦) بشارة الخوري، حقائق لبنانية، ج٢، منشورات اوراق لبنانية، بيروت، ١٩٦٠، ص١٦٥.
(٩٧) المصدر نفسه.